

التبيان في تفسير القرآن

(348) التزيين هو التحسين من الشيطان والغواية. وقال غيره هو التحبيب بالشهوة لتحبيب المشتتهى. وقوله " أو قاعدا أو قائما " نصب على الحال. وقوله " كأن " هي المخففة عن الثقيلة، وتقديره كأنه لم يدعنا، ومثله قول الخنساء: كأن لم يكونوا حمى متقى * إذ الناس إذ ذاك من عزيز (1) أي كأنهم. وقوله " مر كأن لم " أي استمر على طريقته الأولى كأنه لم يدعنا ولم يسألنا ذلك. وموضع الكاف نصب على أنه مفعول مالم يسم فاعله والمعنى زين للمسرفين عملهم " كذلك " أي مثل ذلك. قوله تعالى: ولقد أهلكنا القرون من قبلك لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين (13) آية أقسم الله تعالى في هذه الآية أنه أهلك من كان قبل هذه الأمة من القرون، وهو جمع قرن. وسمى أهل كل عصر قرنا لمقارنة بعضهم لبعض. والقرن هو المقاوم لقرينه في الشدة، ويعني بذلك الذين كذبوا رسل الله الذين بعثهم الله إليهم فكفروا بذلك بربهم وظلموا أنفسهم، فأهلكهم الله بأنواع العذاب وفنون الاستئصال كما أهلك قوم لوط وقوم موسى وغيرهم، وبين بقوله " وما كانوا ليؤمنوا " أن هذه الأمم التي أهلكهم لم يكونوا مؤمنين ولو أبقاهم الله لم يؤمنوا بالرسول الذين أتوهم والكتب التي جاؤهم بها، ولما كان ذلك المعلوم من حالهم استحقوا من الله تعالى العذاب فأهلكهم. وقوله " كذلك نجزي القوم المجرمين " أي نعاقب مثل عقوبة هؤلاء المجرمين إذا استحقوا أو كانوا ممن لا يؤمن ولا يصلح. وجعل أبو علي الجبائي ذلك دليلا

(1) ديوانها انيس الجلساء 144 (*)